الفصل الثاني :

القرآن الكريم

لقد أعطى الله سبحانه وتعالى كل نبي من الأنبياء من الآيات والمعجزات التي تدل على صدق دعوته وبرهان على نبوته ، وقد كانت معجزة نبينا ﷺ الكبرى هي الوحي كلام الله تعالى القرآن الكريم هذا سوى ما عداه من معجزات مادية حسية تربو على الألف معجزة ، لكنها كغيرها من كمعجزات إخوانه الأنبياء مضت في وقتها وما شاهدها إلا من حضرها لتبقى بعد ذلك حدثاً يُرْوى وتاريخاً يُحْكى لمن يصدِّقه أو يكذِّبه ، ولما كان النبي محمد ﷺ آخر الأنبياء وبُعِث بخاتمة الرسالات إلى يوم القيامة فلا نبي بعده ولا كتاب بعد القرآن الذي أنزله الله عليه فكان من حكمة الله أن تكون معجزته باقية ببقاء رسالته ودعوته ولتبقى دليلاً وبرهاناً لمن أراد أن يدخل في دينه والذي هو دين جميع الأنبياء السابقين عليهم السلام .

جاء في الصحيحين وفي مسند الإمام أحمد « ما من نبي إلا قد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحاه الله إليَّ فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة »

من الخطأ بمكان أن يعادي الإنسان ما يجهل أو يحكم على ما لا يعلم ، فأول لبنة في صرح بناء العدالة العلم قبل الحكم ، ثم التجرد عن الهوى والحقد ، أي خسارة للإنسان أن يضرب في سفره على غير هدى مع وجود دليل يرشده وإلى السلامة يوصله ولكنه لا يعبأ به ، ظناً منه أنه مستغنٍ عنه بعقله وفكره فضلَّ سعيه وضاع جهده ثم لقي حتفه.

إذاً فلنقرأ القرآن قراءة المتدبر العاقل المنصف الذي لم يخضع في الحكم عليه بأفكار سابقة وآراء راسخة سلم لها عقله دون أن يوازن أو يقارن.

لماذا أنزل الله القرآن؟

أنزل الله القرآن الكريم لسعادة البشر في الدنيا والآخرة من خلال منهج ينظم شؤون الحياة والعلاقات والعبادات في كل ما يحتاجه الإنسان ، قال الله تعالى فيه :

- ﴿ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ [هود ١]
- ﴿ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة٢]
- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾ [النساء١٧٤]
- ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ ﴾ [الأنعام١٥٥]
- ﴿ وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف ٥٢]
- ﴿ الٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ [يونس١]
- ﴿ الٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴾ [يوسف١]
- ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ [إبراهيم ١]
- ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾ [الإسراء٩]
- ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء٨٢]
- ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾ [الشورى ٥٢]

تحدى الله تعالى بهذا الكتاب الثقلين الإنس والجن على أن يأتوا بمثله أو بعشر سور أو بسورة واحدة ، هذا هو الإعجاز أن ينزل القرآن على نبي أمي ليس شاعراً ولا أديباً، وينشأ بين قوم هم أفصح الناس لساناً وأحسنها بياناً وأقدرها على التعبير خضع لهم الشعر والأدب ودانت لهم البلاغة والخطب ثم يأتيهم رسول بأسلوب

عجيب لم يعهدوه من قبل فخضعوا لبيانه واستسلموا لعلو مكانته وشانه واعترفوا له بالفضل ولم يستطيعوا أن يحاكوه فبان عجزهم أمام معناه ولفظه .

وصدق الله القائل : ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء٨٨] .

من عظيم بيانه وقوة جزالة ألفاظه وقوة معانيه تقرع الأسماع وتهز القلوب وتدمع العين وتقشعر له الأبدان.

إنه القرآن المعجز في إصابته في وضع كل حرف وفي كل كلمة :

سلوا أرباب البيان وأصحاب اللغة والشعر في مشارق الأرض ومغاربها أن يأتوا بكلمة واحدة في غير موضعها أو أن غيرها أفضل منها أو أن يُظهروا لنا خطأ في تركيب أو تقديم أو تأخير وصدق الله القائل :

﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء ٨٢] .

إنه القرآن المعجز في إخباره عن الأمور السابقة :

علم الجميع بأن محمداً ﷺ لم يقرأ ولم يكتب ولم يجلس في حياته كلها لرجل دين من يهود أو مسيحيين ولا اطلع على شيء من كتبهم ، وأنَّى له ذلك وما هو بقارئ ولا جلس إلى معلم ، وكذلك بمكة ليس من يهودي أو نصراني فقد كانت بيئته كلها بيئة وثنية ، علموا ذلك منه ولو علموا خلافه لأثبتوه وأذاعوه حتى يصرفوا الناس عنه ، وصل الأمر أن تحداه أهل الكتاب بأن يخبرهم عن بعض الأمور التي لايعلمها إلا صفوة أحبارهم فسألوه معاجزين أن يخبرهم ، من ذلك سؤالهم عن أصحاب الكهف وعن الروح وعن رجل جاب الأرض مشرقها ومغربها فنزل القرآن يخبره بالنبأ اليقين في سورة الكهف والإسراء .

ولتأكيد تلك الحقيقة أنه نبي لا يعلم إلا ما علمه الله من أنباء الماضين ، يخاطب القرآن كل من له عقل بتلك الحقيقة بعد القصة التي يخبر عنها في القرآن وهي أنه لم

يشاهد ولم يعش في زمانهم ، فمن أنبأه إذاً سوى الله ، فبعد قصة موسى نقرأ قول الله تعالى : ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [القصص٤٦] .

وبعد قصة مريم ﴿ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ [آل عمران ٤٤] .

وبعد قصة يوسف ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴾ [يوسف١٠٢]

إلى أن قال : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [يوسف١١١] .

إنه القرآن المعجز في حديثه عن المستقبل :

أي عن الغيب المجهول الكائن في مستقبل الزمان ، لقد أخبر القرآن عن حوادث سوف تكون في المستقبل فكانت كما أخبر ، من ذلك :

* ينزل القرآن الكريم في مكة والمؤمنون عشرات مستضعفون فيخبر بأنه سوف يكون ثمة قتال بين المؤمنين والمشركين ، في وقت لا ينبئ بمثل هذا أبداً لا من حيث العدد ولا العدة ولا المكان ، فهم مقهورون محبوسون بمكة أفراد قليلون ، أنَّى يكون قتال وهم في يد جلاديهم وليس لهم من أرض سوى مكة يعيشون فيها ولا من جار يؤوون إليه ولا دولة تقوم بمواجهة ذلك الباطل ثم يخبر القرآن في هذه الظروف بأن ثمة مواجهة في قوله تعالى : في سورة المزمل وهي باتفاق الجميع سورة مكية من أوائل السور التي نزلت بعد البعثة يقول الله تعالى : ﴿ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [المزمل ٢٠] .

* ينزل القرآن الكريم بعدما أخبر أن هناك مواجهة ليخبر بنتيجتها في وقت تمر فيه الدعوة الإسلامية بما ذكرته في المثال السابق قال تعالى : ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴾

[القمر ٤٥] حتى قال عمر بن الخطاب : أي جمع هذا؟ ولم يعرف ذلك إلا عند غزوة بدر والتي نزل بشأنها آية تنبئ بإعجاز آخر ألا وهو تلك البشارة من الله تعالى بأحد أمرين إما عير أبي سفيان عسى أن يسترد المسلمون شيئاً مما فقدوه من ديار وأموال وعقار بمكة ، وإما النصر على النفير الذي جاء من مكة بقيادة أبي جهل لحرب المسلمين كما حكى القرآن ذلك في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [الأنفال٧] .

* وهذا إنباء آخر من القرآن الكريم عن وقوع معركة حربية بين أكبر قوتين في العالم وقتذاك الفرس والروم ، فبعد هزيمة الروم أمام الفرس حزن المسلمون لأن الروم أهل كتاب وهم أقرب إلى قلوب المؤمنين من الفرس عبَّاد النار الوثنيين فيخبر القرآن بعدة أمور أولاً : بالحدث أي بأن نزالاً وقتالاً سوف يحدث مرة أخرى بين الفريقين ثم يخبر القرآن بمكان المعركة -في أدنى الأرض- ثم يخبر بوقتها وزمانها- في بضع سنين- ثم يخبر بنتيجتها وهو انتصار المؤمنين بنصر الله للروم على الفرس .

حتى أن أحد المشركين دخل في رهان مع أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- وذلك قبل تحريم الرهان ، وكان أبوبكر قد راهنه على ثلاث سنين حيث إن كلمة بعض في اللغة العربية من ثلاث إلى تسع وكان الرهان على خمس قلائص ، وأخبر أبوبكر الرسول ﷺ فقال له : « ارجع إليهم فزدهم في الرهان واستزدهم في الأجل » وقد كان ذلك وحدث ما أخبر به القرآن ، ولندع صدر سورة الروم يتحدث :

﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِي بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥ ﴾ [الروم١-٥] .

* من أكبر الناس عداءً وأعظمهم عناداً وأشدهم استهزاءً للإسلام أبو لهب منذ فجر الدعوة وحتى موته وهو يحارب الإسلام بما استطاع إلى ذلك سبيلاً ، وينزل

القرآن الكريم يخبر الناس جميعاً ومنهم أبو لهب بأنه سوف يموت كافراً وكذا امرأته وأنهما سوف يَصْليان ناراً في الآخرة ، وللقارئ أن يسأل : وأين موضع الإعجاز هنا ؟ ونقول : إن الإعجاز في أن أبا لهب كان بمقدوره هو أو زوجه أن يعلنا الإيمان ليقولا أمام الناس إن ما أخبر به القرآن ليس صحيحاً وها نحن نعلن إيماننا ، لكنهما يبقيان على كفرهما ويموتان عليه ليكونا بكفرهما دليلاً على صدق القرآن الكريم.

* نزلت سورة الكوثر بمكة كما اتفق المفسرون وهي كما نعلم مرحلة القلة والاستضعاف فأتباع النبي ﷺ عشرات ، وتنزل سورة الكوثر ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾ [الكوثر١-٣] ويخبر النبي ﷺ المسلمين بأن الكوثر هو نهر في الجنة يصب في حوضه المبارك يوم القيامة وعدد آنيته بعدد شاربيه وآنيته عدد نجوم السماء أي سوف يدخل في الإسلام من الناس ما لا يعلم عدده إلا الله، وقد كان ذلك ، فقد دخل الناس في دين الله أفواجاً وما زالوا يتكاثرون وهو ما نراه اليوم حيث عدد المسلمين اليوم زهاء مليار ونصف المليار.

* قال تعالى : ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [الفتح٢٨] وأظهر الله الإسلام وأعلى رايته في مشارق الأرض ومغاربها فما مرت ثلاثون عاماً حتى ينتشر نور الإسلام منطلقاً من الجزيرة العربية إلى إفريقيا ليتجه غرباً إلى حدود الأطلسي وشرقاً إلى مصر بعد أن دخلت أنواره من قبل إلى البحرين وما جاورها من بلدان الخليج العربي ليزحف شرقاً حتى بلاد الصين ولم تمض المائة عام حتى عم نوره جنوب أوروبا وبلاد الأندلس وجنوب فرنسا ويصعد شمالاً نحو بلاد الترك والبلقان.

* يخبر تعالى قبل فتح مكة عاصمة العرب الدينية ومهبط الوحي ومولد النبي ﷺ بأنها سوف تُفتح للمسلمين ويدخلونها آمنين محرمين وقد كان ، وتم الفتح

ودخلها النبي ﷺ مع أصحابه كما وعدهم الله في قوله تعالى : ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ [الفتح٢٧] .

ما ذكرته من هذه الغيوب جزء من كل ، لولا طلب الاختصار لأفضت وأطنبت.

إنه القرآن الكريم في إعجازه العلمي :

لقد جعل الله سبحانه وتعالى دلائل وآيات تثبت وجوده وتفرده بألوهيته فأنزل كتاباً مقروءاً وكذلك خلق الكون كتاباً منظوراً ناطقاً بوحدانيته ، فالقرآن والكون يشكلان مصدراً أساسياً لمعرفة الله وإثبات وجوده لنجد التطابق التام بين الحقائق الدينية والحقائق العلمية ، فالذي أنزل القرآن بالحق ﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾ [الإسراء١٠٥] هو الذي خلق الكون بالحق ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ [النحل٣] .

وما زالت آيات الله تعالى الكونية تفصح وتصدق ما جاء في آيات الله المقروءة المتلوة التي تتحدث عن الكون علويه وسفليه كما قال تعالى : ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت ٥٣] .

لقد وقف الناس أمام العلم ثلاثة مواقف :

* قسم وقف جامداً أمام النصوص الدينية يقدس تفسيرها وأقوال شارحيها كما يقدس النص ذاته وقال بوجوب متابعة اللاحق للسابق غير مفرِّق بين الثابت كالعقائد والأخلاق والقواطع في الدلالات سواء أكانت في الإخبار أو الأحكام وبين المتغير الذي يعمل فيه المجتهدون حيث اختلاف الفهوم في الأدلة والنصوص، فعلى قدر الرسوخ في العلم وقريحة الذهن وتصور المراد تكون الإصابة والتوفيق ، فكما اجتهد السابقون لزمانهم فليجتهد اللاحقون لعصرهم ومستجدات ظروفهم وقضاياهم أيضاً.
* قسم عَادَى الشرائع وكفر بالأديان كلها ولم يؤمن إلا بما يعلم عن طريق الحواس فعبد العلم وكفر بالغيب بل اتخذ العلم معبوداً من دون الله.

* القسم الثالث : آمن بالشرائع وآمن بالعلم ورأى ألا تصادم بين العلم اليقيني الصحيح وبين فهم نصوص الدين الفهم الصحيح ، ولما فهم المسلمون تلك الحقيقة رأينا نوابغ العلماء في الأمة الإسلامية منذ عصورها الأولى في جميع المجالات والعلوم في الطب والجغرافيا والفلك والرياضيات والكيمياء وعلم النفس والتاريخ.

وفي هذا المجال فتح لنا الإعجاز العلمي للقرآن الكريم باباً عظيماً للإيمان بالله وإثبات أن هذا القرآن الذي أنزل ليس من عند محمد ﷺ وإنما هو من عند الله رب العالمين الخالق العليم العظيم الذي خلق الأكوان ونزَّل القرآن.

لقد دعا القرآن الكريم العباد إلى التفكر والنظر والاستدلال في كثير جداً من آياته قال تعالى : ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ﴾ [العنكبوت ٢٠].

فهم ذلك الأوائل من المسلمين فوجدنا إبداعهم في كل العلوم ، فهذه أعمالهم في الرياضيات التي جعلت كتبهم المراجع الرئيسية للغرب في علوم الجبر وحساب المثلثات واللوغاريتمات والهندسة الفراغية وعلم الأرقام وخاصة الصفر الذي أحدث ثورة في علم الحساب والذي استخدمته أوروبا بعد المسلمين في القرن الثاني عشر ، وظهر ابن النفيس واكتشافه للدورة الدموية وتطور علم الجراحة على يد الرازي ووضع كتابه المرجع في علم الجراحة واستخدام الأدوات الجراحية وسماه « التصريف لمن عجز عن التأليف » وهو سفر ضخم يقع في ثلاثين جزءاً .

وفي علوم الجغرافيا نجد الخوارزمي الذي وضع صورة للأرض ، ونجد اليعقوبي في كتابه « البلدان » و « نزهةالمشتاق في اختراق الآفاق » للإدريسي ، وفي علم الملاحة البحرية نجد ابن ماجد وكتابه العظيم « الفوائد في أصول علم البحار والقواعد » .

نبغ المسلمون في كل العلوم الإنسانية كما التجريبية فظهر ابن رشد في الفلسفة وابن سينا في الطب والفلسفة هذا غير الكثيرين من الأدباء والشعراء واللغويين ، وما ذكرته من أمثلة إنما هو غيض من فيض وقليل من كثير الذي شهد له المنصفون من علماء الغرب.

أمثلة من وجوه الإعجاز :

قـولـه تعالـى : ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ۝٧٥ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ۝٧٦ ﴾ [الواقعة ٧٥، ٧٦]

أقرب نجم إلينا خارج المجموعة الشمسية يبعد مسافة ٣,٤ سنة ضوئية والسنة الضوئية ٥,٩ مليون مليون كم ، وإذا انبثق الضوء من النجم فإنه يصل إلينا بعد أكثر من خمسين شهراً يكون النجم قد تحرك من مكانه لمسافات شاسعة ، بل هناك نجوم ما زالت تتراءى لنا مواقعها في صفحة السماء في ظلمة الليل ، وأثبت العلم أنها انفجرت منذ آلاف السنين ولا وجود لها الآن ، وعلى ذلك فالنجوم التي نراها الآن هي مواقع مرت بها النجوم ، فالموقع يشير إلى المكان والزمان ، ومن هنا نفهم سر الإعجاز في قوله تعالى : ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴾ [الواقعة ٧٥] .

النجم الثاقب :

قال تعالى : ﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣ ﴾ [الطارق١-٣] .

لاحظ علماء الفضاء في وكالة ناسا الفضائية بأن النجم التيزوني يعطي نبضات صارخة في عالم الفضاء تشق صمت الكون تشبه تماماً الطَّرْق على الباب مسجلة على CD كوثيقة علمية عن طريق وكالة ناسا الفضائية هذا الصوت يشبه صوت نبضات القلب إذا كان بعيداً وصوت الطَّرْق على الباب إذا كان النجم قريباً.

من وظائف السماء :

من وظائف السماء في القرآن ما ذكره الله تعالى في سورة الطارق : ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ﴾ [الطارق١١]

أثبت علماء الفضاء أن للسماء حزامَيْ إشعاع يردان عن الأرض جسيمات كونية ضارة من الفضاء ، وترد كثيراً من الأشعة الضارة وتسمح بالأشعة غير الضارة.

قوله تعالى : ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْىدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ [الذاريات٤٧] .

يُنبئنا علم الفضاء اليوم عن أن المجرات تتباعد عن بعضها البعض ، وأن الكون في اتساع .

قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنبياء ٣٠] .

في هذه الآية إثبات ما توصل إليه العلم الحديث من أن الأرض والسماء كانتا ملتصقتين ثم حدث الانفصال بينهما بعد ذلك.

قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ﴾ [الأنبياء١٠٤] .

نظرية فناء الكون وهي آخر النظريات العلمية والتي تقول بانكماش الكون مرة أخرى.

قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ۝٧ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ۝٨ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۝٩ ﴾ [القيامة٧، ٨، ٩] .

يبعد القمر مسافة ٤٠٠,٠٠٠ ألف كم ويتباعد ٣ سم بما يعني دخوله في نطاق جاذبية الشمس التي سوف تبتلعه ، وكلما بعد القمر ضعف انعكاس الشمس عليه حتى يختفي .

يصف القرآن الكريم نهاية الكواكب كما ذكر العلم الحديث حيث ذكر الانفجار والانتثار والانكدار والطمس في قوله تعالى : ﴿ إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢ ﴾ [التكوير ١ ، ٢] وفي سورة الانفطار ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ۝٢ ﴾ [الانفطار١ ، ٢] وفي سورة المرسلات ﴿ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ﴾ [المرسلات٨] .

وظيفة النجوم :

قال علماء الفضاء بأن من وظائف النجوم أنها مكانس للسماء كما جاء في قوله تعالى : ﴿ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴾ [التكوير١٦] .

* في ٣١ أكتوبر ١٩٩٩ م نشرت وكالة ناسا الفضائية صوراً لتلسكوب هابل الفضائي للنجوم في مرحلة الانفجار وكل نجم ينفجر على شكل وردة حمراء

عملاقة وصفوها فقالوا نفس التعبير القرآني « وردة حمراء مدهنة » وهو نفس التصوير القرآني الدقيق في قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴾ [الرحمن٣٧]

انشقاق القمر :

داو موسى فيكتور –بريطاني– يفتح المصحف فيقرأ قوله تعالى : ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ [القمر١] فيقول هل يعقل هذا الكلام وصرفه عن المواصلة وترك قراءة القرآن حتى جلس ذات يوم أمام شاشة التلفاز ليشاهد حواراً بين معلق بريطاني وثلاثة من علماء الفضاء الأمريكان وذكر العلماء ما أنفقوه من مبالغ طائلة في رحلة واحدة من رحلات الفضاء ، فقال المذيع : وأي سفه هذا ، مائة ألف مليون دولار لكي تضعوا العلم الأمريكي على سطح القمر فقالوا : لم يكن ذلك الهدف وإنما الهدف هو دراسة التركيب الداخلي لسطح القمر ؟ ووجدنا حقيقة لو أنفقنا أضعاف هذا المال لإقناع الناس بها ما صدَّقنا أحد ، فقال : ما هذه الحقيقة ؟ قالوا : انشق القمر في يوم من الأيام ثم التحم فقال : كيف علمتم هذا ؟ قالوا : وجدنا حزاماً من الصخور المتحولة تقطع القمر من سطحه إلى جوفه واستشرنا علماء الجيولوجيا فقالوا :لا يمكن أن يكون هذا إلا إذا انشق القمر والتحم ، فقفزت من على الكرسي وقلت : معجزة تحدث لمحمدﷺ تحدث قبل ألف وأربعمائة عام سخر الله لها الأمريكيين ليثبتوها وكانت رحلة قبول الإسلام.

الصعود في السماء :

يقول العلماء : إذا ارتفع الإنسان فوق ٢٥ ألف قدم بدون حماية من الضغط وقلة من الأكسجين فسيموت في الحال وتتوقف أجهزته الجهاز العصبي والدوري والتنفسي، سوف يختنق لأن السوائل تفور وتغلي نتيجة قلة الضغط ويتعرض لحشرجة في الصدر تشبه حشرجة الموت ، قد يقول قائل : قد عرفوا ذلك عندما صعدوا في الجبال ، لكن هذا القول يثبت تهاويه وعدم صحته إذا عرفنا أن أعلى قمة

في العالم حوالي عشرة آلاف قدم ، والآن نقرآ الآية التي تتحدث عن حالة الإنسان أثناء صعوده في السماء ، قال تعالى : ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام١٢٥] .

اكتشاف مدينة قوم عاد :

في رحلة لمكوك فضائي تم اكتشاف مجرى لنهرين جافين من الغرب إلى الشرق ومن الجنوب إلى الشمال ، وفي رحلة أخرى وجد أنهما يصبان في بحيرة قطرها ٤٠ كم وعلى ضفاف البحيرة عمران لم تعرف البشرية عمراناً في ضخامته وبدأوا في إزالة الرمال ليجدوا تحتها أعمـــدة ضخمة كما ذكره القرآن الكريم بالتمام في قوله تعالـى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝٨ ﴾ [الفجر٦ - ٨].

أدنى الأرض كما ذكر القرآن :

أخبر القرآن كما ذكرنا عن وقعة بين الروم والفرس والتي هُزِم فيها الروم من الفرس في منطقة قال عنها القرآن بأنها أدنى الأرض وهذا ما ذكرته الجغرافيا اليوم عن منطقة البحر الميت بفلسطين والتي دارت رحى الحرب عندها والتي تقع تحت مستوى سطح البحر بـ٤٠٠م .

الإعجاز في حديث القرآن عن خلق الإنسان :

ماذا قال القرآن عن خلق الإنسان ؟ وماذا قال العلم؟

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۝١٢ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝١٣ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ۝١٤ ﴾ [المؤمنون١٢ -١٤] .

معنى العلقة أي معلقاً في رحم أمه ، وهي أيضاً بمعنى الدم المتجمد حيث تكون الدماء محبوسة في العروق الدموية بين الجنين وبين المشيمة ويظهر شكل الجنين كشكل الدم المتجمد ، ثم يكون مضغة.

كيث مور أستاذ علم التشريح والأجنة في جامعة تورنتو بكندا والذي له ثمانية كتب هي المرجع لطلبة كلية الطب في العالم وقد ترجمت إلى ست لغات عالمية هي الإيطالية ، البرتغالية ، الألمانية ، الإسبانية ، اليونانية ، الصينية ، جاء هذا العالم بقطعة من الطين الصلصال ومضغها بفمه ثم جاء بصورة من جنين وقارن بين الاثنين حيث ظهر التطابق بين صورة الجنين وصورة قطعة الصلصال الممضوغ بالأسنان حيث المضغة وكأنها شيء ممضوغ تظهر فيه آثار الأسنان ، وقد خرج في التليفزيون الكندي في ثلاث حلقات يتحدث عن التوافق بين ما ذكره القرآن وبين العلم حول خلق الإنسان ، حتى سأله المذيع : معنى ذلك أنك تؤمن بأن القرآن كلام الله ؟ فيرد عليه : أنا لم أجد صعوبة في قبول هذا . فيقول له : وكيف تؤمن بمحمد وأنت تؤمن بالمسيح؟ فأجاب : أعتقد أنهما من مدرسة واحدة.

وصف المضغة في القرآن :

وُصفت المضغة في القرآن في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ ﴾ [الحج٥].

قال الدكتور مارشال جونسون رئيس قسم التشريح بجامعة توماس جونسون بولاية فيلادلفيا عن وصف المضغة بأنها مخلقة وغير مخلقة ، فنقول : مخلقة بالنسبة للجزء الذي تخلق ونقول : غير مخلقة بالنسبة للجزء الذي لم يتخلق ثم يقول : « لابد أن نصف المضغة في تركيبها الداخلي بالوصف الذي وُصِفت به في القرآن ، فنقول كما قال القرآن ﴿ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ ﴾ [الحج ٥] .

أطوار خلق الإنسان :

بعد اكتشاف بويضة المرأة في القرن الثامن عشر الميلادي قال العلماء : إن الإنسان يُخلق خلقاً كاملاً في البويضة ، وكان هذا هو الاعتقاد السائد عند الأطباء ثم جاء القرن التاسع عشر ليكتشف الطب أن الإنسان يُخلق أطواراً كما ذكر في الآيات السابقة وفي غيرها من آي القرآن التي تحدثت عن خلق الإنسان ، فمن أعلم محمداً

بهذه الحقائق قبل ألف وأربعمائة عام وهو النبي الأمي ابن الصحراء ؟ من أعلمه بهذه الحقيقة التي لم تُعرف إلا في القرن التاسع عشر . ليس إلا جواب واحد إنه الخالق العظيم الذي أرسله.

ناصية الإنسان في القرآن :

ذُكرت الناصية في القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ﴾ [هود ٥٦] وفي قوله تعالى : مخبراً عن كيفية إلقاء المجرمين في النار ﴿ يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ ﴾ [الرحمن٤١] وفي قوله تعالى : ﴿ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ۝١٥ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۝١٦ ﴾ [العلق١٥، ١٦] .

هذا هو حديث القرآن عن الناصية وأنها مكان الصدق والكذب وكذلك مركز القيادة والسيطرة ، كما جاء في السنة ذكر الناصية من ذلك حديث النبي ﷺ « اللهم إني عبدك ابن عبدك ناصيتي بيدك .... »

فماذا قال العلم عن الناصية؟

كيث مور من أكبر علماء العالم في تشريح المخ يقول : « ثبت لدينا بالقطع والقياس والاختبار أن المكان الذي يُرسم فيه الكذب ـ خطة الكذب- وخطة الصدق وخطة الخطيئة وخطة الإحسان كل هذا يرسم في الناصية ، وجميع الحيوانات التي لها ناصية لها مخ ، وأن مركز القيادة في هذه الناصية » .

من حديث القرآن عن الأرض :

قال تعالى : ﴿ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴾ [الطارق١٢] .

هذه هي الحقيقة الكونية المبهرة التي يتحدث عنها علماء الأرض ، هذه الحقيقة التي لم يدركها العلماء إلا في النصف الأخير من القرن العشرين حيث اكتشفوا أن الغلاف الأرضي غلاف صخري ممزق بشبكة هائلة من الصدوع تمتد الآلاف من الكيلومترات طولاً وعرضاً بعمق يتراوح ما بين ٦٥كم و١٥٠ كم في كل

الاتجاهات وهي متصلة كأنها صدع واحد ، هذا الصدع من لوازم جعل الأرض صالحة للعمران لأن الأرض فيها كَمٌّ من العناصر المشعة التي تتحلل وتنتج كميات هائلة من الحرارة إن لم تجد متنفساً لها انفجرت الأرض كقنبلة نووية هائلة ، وقد استمرت هذه الدراسات لأكثر من عشرين سنة كاملة من عام ١٩٤٥ م وحتى عام ١٩٦٥م حتى رسموا هذا الصدع بالكامل .

إعجاز القرآن الكريم في حديثه عن البحر :

يقول الله تعالى : ﴿ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴾ [النور٤٠] .

هذا هو حديث القرآن الكريم عن البحار وأمواجها والظلمات التي توجد في باطنها ، ولنترك العلم يتحدث عن البحار وأمواجها وما في باطنها لنكتشف أن القرآن قد أخبر بما توصل إليه العلم الحديث منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام.

قسَّم علماء البحار الأمواج إلى قسمين :

- أمواج تحركها الرياح .
- أمواج تحركها ظاهرة المد والجزر.

اكتشف العلماء في عام١٩٥٥ أن هناك أمواجاً عميقة على بعد ألف متر في قاع البحر تفوق الأمواج السطحية بمئات المرات في طول الموجة وارتفاعها ، وفي هذا العمق يوجد ظلام كامل إذا أخرج الإنسان يده لم يكد يراها ، وأن الأسماك في هذا العمق فيها إضاءة ذاتية.

إذا ما غصنا أكثر إلى قاع البحار أو المحيطات نجد أن درجة الحرارة تصل إلى أكثر من ألف درجة مئوية فلا الماء يطفئها ولا هي تبخره مثل سقف الفرن المحمي عليه بالنار وهو نفس التعبير القرآني في وصف البحر حيث قال تعالى : ﴿ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴾ [الطور٦] .

حكمة الطواف حول الكعبة :

شرع الله الطواف حول الكعبة في الحج والعمرة لزائر البيت الحرام ، هذا الطواف له صفة لا يصح إلا بها وهو أن يبدأ الطائف محاذياً الحجر الأسود جاعلاً البيت عن يساره فيكون الطواف عكس عقارب الساعة ، وهو نفس اتجاه الدوران في حركة الكون من داخل الذرة إلى أكبر مجرة ، في داخل الذرة الألكترون يدور حول نفسه ويدور حول نواة الذرة في نفس اتجاه الطواف عكس عقارب الساعة ، الذرات في السوائل وفي كل خلية حية في نفس اتجاه الطواف ، دوران الأرض حول الشمس ودوران القمر حول الأرض والمجموعة الشمسية التي تدور حول مركز المجرة والمجرة التي تدور حول تجمع مركز مجري والتجمع المجري يدور حول مركز مجري للكون لا يعلمه إلا الله ، كل في اتجاه الطواف عكس عقارب الساعة ، قال الله تعالى عن هذه الأفلاك والمجرات : ﴿ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ [يس ٤٠] .

جاء في الحديث الشريف « إن الله خلق الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره » وقد جاء الحديث عن الظلمات والنور وخلقها في القرآن الكريم في آيات عديدة منها صدر سورة الأنعام ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ [الأنعام١] .

وقد بدأ الله بذكرالظلمة لسبقها في الوجود على النور ، فالخلق خُلِقَ أولاً في ظلام كامل ثم رش الله عليه من نوره.

ماذا قال العلماء عن طبقات السماء؟ قالوا بأن طبقة النور حول الأرض طبقة رقيقة جداً لا يتعدى سمكها ٢٠٠ كم ، وبعد الـ٢٠٠ كم ظلام دامس حيث الشمس قرص أزرق في صفحة سوداء شديدة السواد ، الجزء المدرك من الكون الآن يبلغ قطره ٣٦ ألف مليون سنة ضوئية والسنة الضوئية ٩,٥ مليون مليون كم وأول عالم تجاوز الـ ٢٠٠ كم أصابه شيء من الذهول ، وقال كلمة مبهرة « كأنّي فقدت بصري أو اعتراني شيء من السحر » والقرآن الكريم يقول : ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [الحجر ١٤ ، ١٥] .

ونلاحظ أن القرآن استخدم كلمة باب لأن السماء بناء محكم كما قال تعالى : ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْىدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ [الذاريات ٤٧] فالعلم يقول : ليس هناك فراغ في الكون بل مادة وطاقة.

كما أن الصاعد في السماء لا يصعد مستقيماً لأن السماء دروب وطرق ، ولذا قال القرآن ﴿ يَعْرُجُونَ ﴾ [الحجر١٤].

حديث القرآن عن الجبال :

ذكر القرآن وظيفة الجبال وأنها أوتاد في الأرض ، وقد أرسى الله الأرض بها ولولاها لمادت وتحركت بمَنْ عليها قال تعالى : ﴿ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴾ [النبا٧] وقال تعالى : ﴿ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴾ [النازعات٣٢] وقال تعالى : ﴿ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ ﴾ [النحل ١٥]

ذكر علماء الأرض أن الجبل له امتداد داخل القشرة الأرضية يتراوح طوله في باطن الأرض ما بين عشرة إلى خمسة عشر ضعفاً من طول الجبل ، وأنها دعائم تثبت القشرة الأرضية من الحركة والاضطراب.